إيران: ينبغي فتح تحقيق عاجل فيما مارسته قوات الأمن من عنف ضد المسلمين الصوفيين في قم

تدعو منظمة العفو الدولية السلطات الإيرانية إلى إصدار أمر بفتح تحقيق فوري ومستقل في القمع العنيف للاعتصام السلمي، على نحو ظاهر، الذي قام به مسلمون تابعون لطائفة نعمة الله الصوفية في قم في NP فبراير/شباط OMMS. فقد أُصيب مئات المعتصمين، بمن فيهم نساء وأطفال، بجروح عندما قامت الشرطة ومجموعات من "الحجتية" و"الفاطميون" (جماعتين منظمتين مواليتين للحكومة) بتفريق الاحتجاج، وعلى ما يبدو باستخدام القوة المفرطة، بينما يُعتقد أن عدد من اعتُقلوا ربما وصل إلى NIOMM شخص. وقد أُفرج عن معظم هؤلاء، إلا أن OMM غيرهم قد ظلوا رهن الاحتجاز. ومنظمة العفو الدولية تدعو إلى الإفراج عنهم فوراً وبلا قيد أو شرط، ما لم توجه إليهم تهم جنائية معترف بها ويُقدموا لمحاكمات نزيهة وسريعة وفق ما يتمتعون به من حقوق بمقتضى القانون الدولي.

وصوفية نعمة الله، المعروفون أيضاً بالدراويش أو الباطنية، هم من المسلمين الشيعة ممن يؤكدون على روحانية معتقدهم. وقد اجتمعوا للاحتجاج على أمر رسمي صدر قبل بضعة أيام من ذلك بإخلاء مكان عبادتهم، المعروف بالحسينية، في مدينة قم، بحلول NN فبراير/شباط. وتقع "الحسينية" بمحاذاة منـزل شيخ الجماعة الصوفية الأكبر في قم، وشُيّد قبل ثلاث سنوات، وعلى ما يبدو بصورة قانونية وبإذن من سلطات البلدية.

وورد أن الصوفيين بدأوا احتجاجهم في V فبراير/شباط، حيث اعتصم بعض الأعضاء في مكان عبادتهم بينما جلس آخرون في الخارج، وقاموا بتنظيم احتفال للحداد والصلاة في NM فبراير/شباط، الذي يصادف يوم الاحتفال بعاشوراء من قبل المسلمين الشيعة. وكان هذا سلمياً، إلا أن عدد المحتجين تضخم مع قدوم مئات من صوفيي نعمة الله من الأقاليم الأخرى للبلاد للاحتفال بالمناسبة. وتضمن المتظاهرون العديد من النساء والأطفال، الذين كانوا يقدمون الزهور والحلوى للسكان المحليين.

واتخذت قوات الأمن، بما فيها شرطة مكافحة الشغب، مواقع لها حول المركز، وفي حوالي الساعة PWMM من بعد ظهر NP فبراير/شباط حددت للصوفيين موعداً نهائياً لمغادرته. وبحسب ما ذُكر، قام أعضاء من جماعتي "الفاطميون" و"الحجتية" بتطويق المركز كذلك، مطلقين شعارات من قبيل "الموت للصوفيين" و"الصوفية مؤامرة بريطانية"، كما قاموا بتوزيع منشورات تزعم أن الصوفيين أعداء للإسلام. ورداً على ذلك، رفع بعض الصوفيين صوراً للإمام الراحل آية الله خميني، مؤسس جمهورية إيران الإسلامية، وصوراً لأقارب لهم قُتلوا من أجل وطنهم في الحرب الإيرانية – العراقية لإظهار أنهم لا يعارضون الحكومة وليؤكدوا على أنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الإيراني.
وفي حوالي الساعة QWMM مساء، تقدمت قوات الأمن نحوهم يساندها أعضاء جماعتي "الحجتية" و"الفاطميون" لمهاجمة المحتجين خارج المركز ثم اقتحمت المبنى مستخدمة الغاز المسيل للدموع والمتفجرات. وقامت بضرب العديد من المحتجين، حيث كانت إصابة بعضهم شديدة إلى حد أنهم احتاجوا إلى المعالجة في المستشفى، وبحسب بعض التقارير، ثم قامت بإشعال النار في المركز – حيث وصف شهود عيان المشهد فيما بعد قائلين إن سماء قم كانت ملوثة بالغاز المسيل للدموع والدخان والنار. وجرى اعتقال نحو NIOMM شخص، بحسب ما ورد، حيث جرى اقتيادهم إلى حافلات نقلتهم إلى أماكن غير معروفة.

وبعد إخلاء مكان عبادة الصوفية من المحتجين، حرَّكت قوات الأمن جرافات وشاحنات في ساعات الصباح الأولى من يوم NQ فبراير/شباط وقامت بهدم المبنى والبيوت المجاورة له، بما في ذلك منـزل كبير الوعاظ الصوفيين.

وبحسب ما ورد، أُفرج عن معظم من اعتُقلوا، مع أنه قيل إن ذلك تم بناء على توقيعهم أوراقاً يتعهدون بموجبها بأن لا يحضروا أي اجتماعات للصوفية في قم كشرط للإفراج عنهم. وذُكر أن بعضهم نُقل بالحافلات إلى استاد رياضي لاستجوابهم، بمن فيهم أشخاص مصابون بجروح خطيرة، وتعرض هؤلاء للتعذيب ولسوء المعاملة. كما ذُكر أن عائلات من استمر احتجازهم، والذين يقال إن عددهم يناهز OMM شخص، لم يتمكنوا من الحصول على معلومات بشأن مكان وجودهم أو وضعهم القانوني أو الصحي أو ظروف احتجازهم.

وفي NR فبراير/شباط، أكد محافظ قم، عباس محتاج، لصحيفة "الجمهورية الإسلامية" أن نحو NIMMM شخص قد اعتقلوا، بينما أصيب OMM شخص بجروح، ولكنه اتهم الصوفيين بالاشتراك ? في مؤامرة أجنبية ضد الدولة الإيرانية، مدعياً أن "القوى المستكبرة تستغل كل فرصة لزعزعة الأمن في بلادنا، وارتباطاتهم (الصوفيين) مع دول أجنبية أمر واضح". واعترف مسؤول آخر في قم بأن الشرطة قد استخدمت الغاز المسيل للدموع، إلا أنه ادعى أن ذلك كان أمراً ضرورياً لتفريق الحشد، وأن بعض المحتجين كانوا مسلحين بالسكاكين والحجارة. وقال المسؤول نفسه إن مركز عبادة الصوفية في الحسينية قد هُدم لأنه قد حُوِّل بصورة غير قانونية من مبنى سكني إلى مركز للعبادة.
إن منظمة العفو الدولية تحث السلطات الإيرانية على مباشرة تحقيق سريع وغير متحيز ومستقل في الأعمال التي قامت بها قوات الشرطة والقوات شبه العسكرية ضد صوفيي نعمة الله في قم، وإلى ضمان مساءلة أي موظفين رسميين أو أعضاء في الجماعات شبه العسكرية تتبين مسؤوليتهم عن انتهاكات لحقوق الإنسان وتقديمهم إلى العدالة على نحو سريع ونزيه. وتدعو المنظمة السلطات الإيرانية كذلك إلى ضمان تلقي الشرطة التدريب الكامل وتقيُّدِها كل الوقت بالمعايير الدولية التي تحكم العمل الشرطي، بما في ذلك المبادئ الأساسية بشأن استخدام القوة والأسلحة النارية من جانب الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين، التي تنص على أنه: "على الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين، إذ يؤدون واجبهم، أن يستخدموا، إلى أبعد حد ممكن، وسائل غير عنيفة قبل اللجوء إلى استخدام القوة والأسلحة النارية. وليس لهم أن يستخدموا القوة والأسلحة النارية إلا حيث تكون الوسائل الأخرى غير فعالة أو حيث لا يتوقع لها أن تحدث النتيجة المطلوبة". وينبغي أن يتلقى الموظفون المكلفون بتنفيذ القانون التدريب الكافي بشأن حقوق الإنسان الأساسية، ولا سيما تلك التي تتعلق بحماية الحق في الحياة وفي السلامة البدنية والعقلية لجميع الأفراد، بين جملة حقوق أخرى.

إن الاحتجاج وما واجهه من قمع من جانب السلطات قد جاءت وسط جو من القلق حيال ما يبدو على نحو متزايد محاولة لـ"رسم صورة شيطانية" لجماعة الصوفية المسلمين. ففي سبتمبر/أيلول، دعا أحد القضاة الشرعيين في قم، وهو آية الله حسين نوري- همداني، إلى شن حملة ضد الجماعات الصوفية في قم، دامغاً إياهم بأنهم "خطر على الإسلام". كما شهدت الأسابيع الأخيرة نشر مقالات معادية لهم في صحيفتي "الجمهورية الإسلامية و"كايهان" تحذر من ازدياد شعبيتهم ومن ميل الناس إلى اتباعهم.